مقياس: مصادر فلسفية.
المحاضرة السادسة: هوسرل، الفلسفة علما صارما (تابع).
عرض الكتاب

1. **تحليل الكتاب:** الفلسفة علما صارما هو في حقيقته مقال نشر في 1911 في العدد الأول من مجلة اللوغوس، وهو يلخص تصور هوسرل للفلسفة في مقابل التصور الرائج لها آن إذ الذي يختزلها في مجرد رؤية للعالم ليس من حقها أن تطمح غلى العلمية.

ينطلق هوسرل في كتابه متكلما عن إمكانية وحاجة الفلسفة لأن تكون علما دقيقا "بل أن تكون ذلك العلم الذي يفي بأعمق المقتضيات النظرية"[1]، حيث يشترط أن تكتسب أمرين نسقا (مبادئ، ومنهج، ونتائج)، ومبادئ صحيحة مبرهن عليها. وإن كان الأمر قد تحقق للعلم بصورة جزئية بفضل الفلسفة، وذلك بأن صار له نسق، إلا أنه لم تتحقق له مبادئ مبرهنة عليها فكل ما لديه مبادئ غير مبرهن على صحتها.

وللتدليل على هذا الأمر فهو يستشهد بكلمة كانط حول عدم قدرتنا على تعلم الفلسفة ولكن لدينا القدرة فقط على تعلم التفلسف فحسب، وهو حسب رأيه يعود إلى عدم كون الفلسفة علما، وذلك على عكس العلوم على اختلافها المادية والرياضية والإنسانية، والتي وإن أسهمت الفلسفة في إيجادها، إلا أنها تخلفت عنها في مضمار العلمية، ويعود الأمر إلى "أنه لم يزل يعوزنا في الفلسفة مشاكل، ومناهج، ونظريات محددة تحديدا محكما، وموضحة توضيحا كاملا من حيث معناها، فإن من غير الممكن تعلم الفلسفة"[2].

وحتى في العصر الأخير ورغم تعدد المذاهب الفلسفية والفلسفات وتضاربها إلا أنها لم تحقق شرط العلمية، فرغم تخليها عن النزوع الفلسفي (الميتافيزيقي) وتبنيها طريق التأمل النقدي إلا أنه كان من نتائج ذلك أن تأسست العلوم الطبيعية والإنسانية وأخذها استقلالها، وبقاء الفلسفة دون هذا المطلب.

إذا فالفلسفة لم تتأسس بعد كعلم صارم، ـــ وإن كان هوسرل في هذه اللحظة الحديثة لم ينفي علميتها ـــ بل هي لم تخطو في سبيل ذلك خطة واحدة. وشرط اكتمال العلمية وتحققها هو مقدار تخلص معرفة ما من الحدوس والآراء وغيرها يقول: "ففي هذه العلوم لا محلن على وجه العموم، للآراء، والحدوس، ووجهات النظر الخاصة. وبمقدار ما توجد هذه الأمور في أي مبحث من المباحث، لا يكون هذا المبحث علما محققا بعد، بل علما في طريقه إلى التحقق فحسب، ويحكم عليه بوجه عام عل هذا الأساس"[3]. ويرد هوسرل أمر ابتعاد الفلسفة أن تكون علما صارما لافتقادها لأي نسق، وكل المشاريع والكتب الضخمة المؤلفة في الفلسفة وإن كانت مؤهلة لبناء وتوليد علوم، إلا أنها عاجزة أن تبني ولو شذرة لنسق فلسفي علمي.

---

[1] إدموند هوسرل، الفلسفة علما دقيقا، تر محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002، ص23.
[2] إدموند هوسرل، الفلسفة علما دقيقا، المصدر السابق، ص24.
[3] إدموند هوسرل، الفلسفة علما دقيقا، المصدر السابق، ص25.

يرى هسرل أن إقامة الفلسفة كعلم صارم يقتضي أولا الثورة على الفلسفات السابقة، ولن يكون ذلك إلا بمعرفة الشروط التي تكون بتحققها الفلسفة كذلك، وإن كانت الفلسفات السابقة قد تعرفت عليها بطريقة ساذجة. وهو يستعرض جملة محاولات الفلاسفة فعل ذلك عبر التاريخ منذ الثورة السقراطية الأفلاطونية على السفسطائيين وصولا إلى فشته في الفلسفة الحديثة، مرورا على كل الثورات على المدرسية وغيرها...ويركز خاصة على الفلسفة الهيقلية التي يراها أنها أفسدت أمر العلمية الدقيقة للفلسفة بما ادعته من مطلقية لكل فلسفة في عصرها وهذا وفق الطرح الهيقلي الجدلي[4].

المذهب التاريخي وفلسفة النظرة العامة وتقويم مبرراتهما:

أ: فلسفة المذهب الطبيعي: بعد أن يستعرض هوسرل معنى وتاريخ وموضوع المذهب الطبيعي، وتاريخ انتشاره. حيث يرى أن العالم الطبيعي هو الذي: "لا يرى شيئا سوى الطبيعة، والطبيعة الفزيائية أولا، فكل ما هو موجود إما أن يكون هو نفسه فزيائيا ينتمي إلى الكلية الموحدة إلى الطبيعة الفزيائية، وإما أن يكون نفسيا"[5].

يرى هوسرل بأنه علينا أولا أن نوجه النقد لمنهج وبحث تلك الفلسفة الطبيعية التي اعتقدت نفسها أنها صارت علما دقيقا والتي تتمثل في علم النفس السيكوفيزيقي (التجريبي) والذي حصلت بفضله مباحث المنطق، والمعرفة والجمال والأخلاق والتربية على أساسها العلمي. وهو يقصد نظريات فرويد، وماركس، اللذَين رَدَّا ــ وغيرهما من الوضعيين ـــ أصل "النفسي" إلى المحسوس المباشر المادي، أي تطبيعُ النفسي وإغلاق أي دائرة للنفسي فيما وراء الدائرة المنظورة المباشرة.

فهو يرى أن التجربة الداخلية النفسية "الظاهرة النفسية" غير قابلة للتحديد الموضوعي ذو القوانين الفيزيائية. وإنما يجب ردها إلى أُطُر أوسع وأكبر حتى يحصل الفهم الأعمق، ويتم تعديل السلوك باتساق متناغم.

هذا النقد الهوسرلي لماهية المعرفة، يصبح في المحصلة النهائية بحثا تأسيسياً في: " علم نفس الماهيات/المعرفية" أحد علوم الماهيات (الإيدوس) في مقابل علوم الوقائع، المستندة على علوم الماهيات الباحثة في المثل العليا النظرية، والقيمية، والعملية - والتي يرفضها المذهب الطبيعي- لتصبح شرط العلمية الفلسفية الدقيقة. بمعنى أنه يعود إلى الشعور الخالص وليس التجريبي كما فرق بينهما سابقاً. وينقد المنهج الطبيعي بأنه يجعل الشعور شيئاً.

ما يبحثُ عنه، وينطلق إليه هوسرل للفهم، هو الإدراك الظاهراتي للماهيات: (الوعي وفلسفة النظرة الكلية للعالم) الإدراك الذي هو فعل من أفعال الوعي، لأن "الأشياء" هي ما يظهر لوعينا، فيما سُمي بـ: الظاهراتية أو الفينومينولوجية[6].

ب: المذهب التاريخي وفلسفة النظرة العامة إلى العالم: يرى هوسرل أن المشكل في المذهب التاريخي ـــ رغم أن المذهب التاريخي مجاله الوقائع التي تخص الحياة التجريبية للروح،

---

[4] المصدر نفسه، ص27.

[5] المصدر نفسه، ص30.

[6] أحمد الحمدي، من علم النفس إلى علم النفس الماهوي، موقع: الملتقى الفكري للإبداع، تاريخ النشر: 07-10-2008، تاريخ التحميل: 20-04-2024، https://www.almultaka.org/site.php?id.

والتي هي مطلقة وليست طبيعية ـــ فإن هنالك نزعة تجريبية لها صلة وثيقة بالنزعة النفسية القائمة على المذهب الطبيعي، وتقع في نفس الصعوبات الشكية التي تقع فيها النزعة النفسية

ينطلق هوسرل في نقده للمذهب التاريخي بالتأكيد على عدم إنكاره أهمية التاريخ للفيلسوف لكنه أيضاً يعتبره غلطة معرفية ابستمولوجية؛ كمثل المذهب الطبيعي. ويعيد الفضل للظاهراتية باعتبارها هي وحدها القادرة على أن تقدم أساساً تقوم عليه فلسفة في الروح.

وينتقد كثيراً فكرة النظرة العامة إلى الحياة بحسب ثقافة معينة من منظور تاريخي؛ ويرفضها سواء أكانت من شخص فيلسوف مثقف بعينه أو من ثقافة عصر كامل، ويجعل فكرة النظرة (العامة إلى العالم) مقابلة لفكرة (العلم)؛ فالأولى تختلف من عصر إلى عصر فهي بحسب ثقافة العصر التي كانت فيه بينما الثانية يمكن أن تكون في كل عصر بنفس الدرجة.

وعموما يرى أن علوم الطبيعة لم تستطع أن تفك شفرة الواقع؛ وأن القول بهذا مجرد خرافة[7].

[7] صالح بن سالم، هوسرل من التجريب إلى الفلسفة العلمية، موقع الجزيرة، بد تاريخ نشر، تاريخ التحميل: 20-04-2024، https://www.al-jazirah.com/2018/20180630/cu1.htm